

## مُقَدِّمَةٌ

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين؛  
نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه أجمعين، وبعد:

فمن خلال قراءتي في بعض كتب الفرق المنتسبة إلى الإسلام، واطلاعي  
على كثير من معتقداهم الباطلة التي حملوها، ومقارنتي لها بتلك التي اعتنقتها  
الملل والنحل القديمة، تبين لي أنّ هذه المعتقدات وُجدت نتيجة تسرّب بعض  
الأفكار الدخيلة من تلك الديانات السابقة، إلى طوائف من المسلمين؛ حملوها  
جهلاً، أو بغرض الطعن في الدين، وتبنيوها، ودعوا النَّاسَ إلى اعتناقها .

ومناقشة هذه النتيجة التي توصّلتُ إليها تُمكن في عدّة وقفات، من خلال  
المقارنات التالية:

## الوقفه الأولى: من خلال مقارنة معتقداتهم في الله تعالى:

الله جلّ وعلا واحدٌ أحدٌ، موصوفٌ بصفات الكمال، منزّة عن صفات النقص، تَأْلَهُ قُلُوبُ عِبَادِهِ مَحَبَّةً، وَخَوْفًا، وَرَجَاءً .

وهو سبحانه فوق السماوات السبع، مستوٍ على عرشه، بائنٌ من خلقه .

وهو المعبود بحقّ وحده، لا إله غيره، ولا شريك له في ملكه؛ كما أخبر

عن نفسه: ﴿فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ﴾ [العنكبوت: ٥٦]، ﴿وَالْهُكُمُ إِلَهُ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٦٣]، ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ . وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [خاتمة سورة الإخلاص].

وهذا هو معتقد أنبيائه ورسله عليهم الصلاة والسلام، وأتباعهم، ومن

تبعهم بإحسان .

وقد طرأ انحرافٌ خطيرٌ على معتقدات اليهود والنصارى في الله ﷻ، ووُجد مع دياناتٍ وضعيّةٍ أخرى -منذ نشأتها- انحرافٌ مشابهٌ، تأباه الفطرُ السليمة، والعقولُ المستقيمة . ومن ذلك:

### ١- القولُ بالحلُول:

فكرة (الحلُول) من الأفكار القديمة، وهي تعني: حلُول الله في الأشخاص .

والنصارى - بعدما حرّف لهم بُولُسُ<sup>(١)</sup> دِيانَتَهُمْ - قالوا بالحلُول، وزعموا أنّ

(١) بُولُسُ يهوديٌّ دخل في النصرانيّة بقصد إفسادها من الداخل، وقد كان قبل دخوله فيها

يضطهد النصارى، ويقتل الكثير منهم . ثمّ زعم أنّه دخل في النصرانيّة امتثالاً لأمر المسيح

ﷺ الذي أمره بالتبشير بها . ( انظر: العهد الجديد: أعمال الرسل ٧: ٦٠، ٨: ٣، ٩:

١-٢، ٣-٢٠، ٢٣: ٦ ) .

المسيح ﷺ صورة الله؛ أي أن فيه طبيعةً لاهوتيةً، فهو الله متجسداً . واستندوا في ذلك إلى نصوص وردت في إنجيلهم المحرّف -العهد الجديد-، منها:

أ- (ولكن إن كان إنجيلنا مكتوماً فإنما هو مكتومٌ في الهالكين . الذين فيهم إلهٌ هذا الدهر قد أعمى أذهان غير المؤمنين لئلا تُضيء لهم إنارة إنجيل مجد المسيح الذي هو صورة الله) <sup>(١)</sup> .

ب- (فليكن فيكم هذا الفكرُ الذي في المسيح يسوع أيضاً . الذي إذ كان في صورة الله) <sup>(٢)</sup> .

ج- (شاكرين الآب الذي أهّلنا لشركة ميراث القديسين في النور . الذي أنقذنا من سلطان الظلمة ونقلنا إلى ملكوت ابن محبته . الذي لنا فيه الفداء بدمه غفران الخطايا . الذي هو صورة الله غير المنظور، يكرُّ كل خليقة) <sup>(٣)</sup> .

وهذه النصوص تُصرِّح بعقيدة الحلول التي عليها نصارى اليوم؛ فهم يقولون: «إنَّ اللاهوت حلٌّ في النَّاسوت، وتدرَّع به كحلول الماء في الإناء»؛ فالله - تعالى - حلٌّ بالمسيح ﷺ، والمسيحُ صورةُ الله - على حدِّ زعمهم - . وقد حكى الله عنهم قَوْلهم: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾ [المائدة: ١٧، ٧٢]، وكفَّروهم لأجله .

والنصرانية أخذت - بعد انحرافها - معتقد الحلول هذا عن الهندوس؛ لأنَّ هذه العقيدة كانت سائدة في الهند منذ عهدٍ بعيدٍ . ويُعتبر أرقى النَّاس في الهند، وأعمقهم

(١) العهد الجديد: رسالة بولس الثانية إلى أهل كورنثوس ٤: ٣-٤ .

(٢) العهد الجديد: رسالة بولس إلى أهل فيليبي ٢: ٥-٦ .

(٣) العهد الجديد: رسالة بولس إلى أهل كولوسي ١: ١٢-١٥ .

أَثَرُ الْمَلَلِ وَالْتِحَالِ الْقَدِيمَةِ فِي بَعْضِ الْفِرَقِ الْمُتَنَسِّبَةِ إِلَى الْإِسْلَامِ - د. عَبْدُ الْقَادِرِ بْنُ مُحَمَّدٍ عَطَا صُوفِي

فكراً - عند الهندوس -: مَنْ عَرَفَ حَقِيقَةَ (AIRMEWADWITEA) يعني: هو فقط لا ثاني له . وهذه هي غاية الفكر الهندي، كما يوضح (الفيدا نت)<sup>(١)</sup>: أَنَّ الخطوة الأولى: أن تعرف الخالق بمعرفة مخلوقاته . والخطوة الثانية: أن تميز بين الخالق وطبيعة الكون . والخطوة الثالثة: أن ترى الوحدة بين الخالق وطبيعة الذرة التي خُلِقَ منها هذا الكون . والخطوة الرابعة، وهي الغاية العظمى عند الهنداك: أن ترى أَنَّ ذرة التخليق تتلاشى في ذات الخالق؛ لأنَّها هي هبولى الكائنات، ومصيرها الاتحاد بعله العلل. ولهذا لا يستنكر (الفيدانت) على من يدعو مع الله إلهاً آخر<sup>(٢)</sup> .

ومن المؤكّد - أيضاً - أَنَّ النصرانيّة المحرّفة قد تأثّرت في هذا المعتقد بالمصريّين القدماء؛ فعلماء الدين من المصريّين الأقدمين كانوا يعتقدون حلول الآلهة في الأجسام، «بل إنَّهم ما كانوا يتصوِّرون عالماً روحانياً ومجرّداً من الجسمانيّة؛ فالروح لا بُدَّ لها من جسمان تحلّ فيه، حتى إنَّها عند الموت لا تُفارق

---

(١) الفيدا: معناه العلم . وقديماً كان يُطلق لفظ (فيدا) على جميع الكتب الهندوسيّة، ثمّ خُصَّ بأربعة كتب، هي: (ريج فيدا)، و(ياجور فيدا)، و(سآم فيدا)، و(أثور فيدا). ويُعتبر (الفيدا) - حالياً - من أهمّ الكتب المقدّسة لدى الهندوس، وقد نال شهرة كبيرة من الجماهير . وهو ليس اسم كتاب مؤلّف على الأبواب والفصول، وإنّما هو مجموعة من الأجزاء المنتشرة من تعليمات الزهّاد والتّسّاك في القرون المظلمة قبل الميلاد. والفيدانت معناه: زبلة الفيدا. ويعتبر (الفيدانت) من الكتب الفلسفيّة والأخلاقيّة لدى الهندوس، وهو أصغر حجماً، وأكبر تأثيراً على الفكر الهندي الفلسفي والصوفي من أي كتاب آخر من الكتب الهندوسيّة . [انظر فصول في أديان الهند: (الهندوسيّة، والبوذيّة، والجينيّة، والسيخيّة)، وعلاقة التّصوّف بها لحمد ضياء الرحمن الأعظمي ص ٢٠-٢١، ٤٥] .

(٢) انظر فصول في أديان الهند للأعظمي ص ١٧٤ .

الجسم إلا على عودة سريعة إليه . وإذا كان ذلك شأن الأرواح، فهو أيضاً شأن الآلهة، لا بُدَّ من مأوى تأوي إليه في الحياة، وجسمٍ تحلّ فيه . وقد أعملوا فكرهم في الأحياء التي عساها تكون موضع حلول الآلهة، فزعموها في الأحياء التي تتصل بالخصب والإنتاج، والبذر والإثمار، وأحلّوها في غيرها لميزة لاحظوها، أو توهّموها؛ فأحلّوا آلهتهم أحياناً في ثور، وأحياناً في قطّ، وأحياناً في غيرها. وصاروا يعبدون هذه الحيوانات على أنّها أوعية قد حلّت فيها الآلهة...»<sup>(١)</sup> .

وفكرة الحلول قد ظهرت في الإسلام، وقصّدت بها حلول الله في شخص، أو أشخاص، وكان الغرض منها ضرب الإسلام في أهمّ ركنٍ من أركانه، ألا وهو التوحيد .

يقول الحسن بن موسى النوبختي (ت ٣١٠هـ) عن الحلوليّة: «وكلّهم متفقون على نفي الربويّة عن الجليل الخالق، وإثباتها في بدن مخلوق، على أنّ البدن مسكن لله، وأنّ الله تعالى نورٌ وروح ينتقل في هذه الأبدان»<sup>(٢)</sup> .

وأوّل من أظهر فكرة الحلول في الإسلام: غلاة الروافض الذين قصّدوا إضفاء صفة الألوهيّة على عليّ عليه السلام، والأئمّة من بعده<sup>(٣)</sup> .

يقول الإمام عبد القاهر البغدادي (ت ٤٢٩هـ): «الحلوليّة في الجملة عشرُ فرق، كلّها كانت في دولة الإسلام، وغرض جميعها القصْد إلى إفساد القول بتوحيد الصانع. وتفصيلُ فرقها في الأكثر يرجع إلى غلاة الروافض»<sup>(٤)</sup> .

(١) مقارنات الأديان - الديانات القديمة - لمحمد أبو زهرة ص ١٤ .

(٢) فرق الشيعة للنوبختي ص ٤٤ .

(٣) انظر مع الشيعة الإماميّة لمحمد جواد مغنّية ص ٣٩-٤٠ .

(٤) الفرق بين الفرق للبغدادي ص ٢٥٤ .

أَثَرُ الْمَلَلِ وَالْحَلِّ الْقَدِيمَةِ فِي بَعْضِ الْفُرُقِ الْمُتَنَسِّبَةِ إِلَى الْإِسْلَامِ - د. عَبْدُ الْقَادِرِ بْنُ مُحَمَّدٍ عَطَا صُوفِي

وليس القول بالحلل قاصراً على غلاة الروافض فحسب، بل إن كثيراً من الصوفيّة قالوا به أيضاً .

يقول الإمام أبو الحسن الأشعري (ت ٣٣٠هـ): « وفي النسك من الصوفيّة من يقول بالحلل، وأنّ الباري - ﷻ - يحلّ في إنسان، وسيع، وغير ذلك من الأشخاص »<sup>(١)</sup> .

وأكثر العلماء على أنّ الصوفيّ المشهور أبا مغيث؛ الحسين بن منصور، المعروف بالحلاج (ت ٣٠١هـ)، كان يقول بالحلل . ونما نقلوا عنه قوله:

«أنا من أهوى ومن أهوى أنا	ليس في المرأة شيء غيرنا
قد سها المنشد إذ أنشده	نحن روحان حللنا بدنا
فإذا أبصرته أبصرني	وإذا أبصرني أبصرنا
أثبت الشركة شركاً واضحاً	كلّ من فرق فرقاً بيننا
لا أناديه، ولا أذكره	إنّ ذكرني وندائي يا أنا» <sup>(٢)</sup>
ونقل - أيضاً - عنه قوله:	

«أنا أنت بلا شكّ	فسبحانك سبحانه
فتوحيدك توحيد	وعصيانك عصيان» <sup>(٣)</sup>
وقوله:	

«فأنا الحقّ، حقّ للحقّ حقّ	لا بسّ ذاته، فما ثمّ فرق
----------------------------	--------------------------

(1) مقالات الإسلاميين لأبي الحسن الأشعري ٨١/١ .

(2) ديوان الحلاج - جمع وترتيب الشيباني - ص ٧٨ . وانظر الكنتف عن حقيقة الصوفية لأول مرة للقاسم ص ١١١ .

(3) ديوان الحلاج ص ٨١-٨٢ .

قد تجلّت طوابع زَاهِرَاتٍ يَتَشَعَّشَعْنَ والطوابعُ بَرَقَتْ»<sup>(١)</sup>

وكذا قوله:

«سُبْحَانَ مَنْ أَظْهَرَ نَاسُوتَهُ سَرَّ سَنَا لَاهُوتِهِ الثَّاقِبِ  
حَتَّى بَدَأَ فِي خَلْقِهِ ظَاهِرًا فِي صُورَةِ الْآكَلِ وَالشَّارِبِ»<sup>(٢)</sup>

وقد علّق شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله (ت ٧٢٨هـ) على هذين البيتين - الأخيرين - ، بقوله: « فهذه قد تعيّن بها الحلول الخاصّ، كما تقولُه النصرانيّ في المسيح »<sup>(٣)</sup> .

فالحلاج - كحال من وافقه من غلاة الصوفيّة - تأثّر بالحلول الذي نادى به النصرانيّة المحرّفة، فأخذه عنها، واعتنقه، وصرّح به، ودعا إليه .  
وقد تفتّن إلى هذه الحقيقة الدكتور نيكلسون [Nicklson]، فقال معلّقاً على أبيات الحلاج «أنا من أهوى ومن أهوى أنا»، مؤكّداً تأثّره بالنصرانيّة: «وهذا المذهب في التألّه الشخصي، على الشكل الخاصّ الذي طَبَعَهُ به الحلاج، بينه وبين المذهب المسيحيّ الأساسيّ نسبٌ واضحٌ، ولذا كان هذا المذهب عند المسلمين كفراً من شرّ أنواع الكفر. وقد قيّض الله له أن يعيشَ دون تغيير فيه بين أتباعه الأقربين والحلوليّين، وهم الذين يقولون بالتجسيد .. »<sup>(٤)</sup> .

فالتشابه واضحٌ بين المذهبين، كما نبّه على ذلك (د. نيكلسون) .  
ومَن قال بالحلول من الصوفيّة - أيضاً - : أبو يزيد البسطامي ومن العبارات

(1) المرجع نفسه ص ٦٧ .

(2) المرجع نفسه ص ٣١ .

(3) مجموعة الرسائل والمسائل لابن تيمية ٩٤/١ .

(4) الصوفية في الإسلام لنيكلسون ص ١٤١ .

أَثَرُ الْمَلَلِ وَالْحَلِّ الْقَدِيمَةِ فِي بَعْضِ الْفِرَقِ الْمُتَنَسِّبَةِ إِلَى الْإِسْلَامِ - د. عَبْدُ الْقَادِرِ بْنُ مُحَمَّدٍ عَطَا صُوفِي

التي تُسَبِّتُ إِلَيْهِ، قَوْلُهُ: «رَفَعَنِي اللَّهُ مَرَّةً فَأَقَامَنِي بَيْنَ يَدَيْهِ، وَقَالَ لِي: يَا أَبَا يَزِيدَ! إِنَّ خَلْقِي يُحِبُّونَ أَنْ يَرَوْكَ. فَقُلْتُ: زَيْنِّي بِوَحْدَانِيَّتِكَ، وَالْبِسْنِي أَنَانِيَّتَكَ، وَارْفَعْنِي إِلَى أَحَدِيَّتِكَ، حَتَّى إِذَا رَأَيْتَ خَلْقَكَ قَالُوا: رَأَيْنَاكَ، فَتَكُونُ أَنْتَ ذَاكَ، وَلَا أَكُونُ أَنَا هُنَا»<sup>(١)</sup>.

وقول البسطامي - هذا - ، وإن كان مشابهاً لقول سلفه - الحلاج - ، إلا أنه أوغل منه في الحلول، بل يُشَمُّ منه رائحة الاتحاد الذي انتهى إليه ابن عربي، وأشباهه . وهذا ما جَزَمَ به الدكتور عبد القادر محمود [د . ت] ، إذ قال - بعد أن نقل عبارة البسطامي المتقدمة، وعبارات أخرى - : «ونصل من هذا، إلى أن هذا النوع من التوحيد عبر الاتحاد الذي لا إشارة فيه، ولا مُشار، ولا مُشير. هذا النوع من التوحيد يتلقاه الصوفيُّ حال السَّكَرِ؛ وهو فناء الذات الخاصة في ذات الألوهية، وأنه ما تَمَّ إلا الله، فوجود العبد وجود الربِّ، والعكس . ومن هنا يُنسب للعبد ما يُنسب للربِّ»<sup>(٢)</sup>.

ولم يُنكر الصوفيُّ هذا المعتقد الإلهادي، بل رفعوا من شأن معتقيه، وزعموا أنه منزلة من منازل العارفين، يصل إليها الخواص، فتغنى ذاقهم وصفاتهم البشرية، وتحوَّل إلى صفات إلهية؛ أي يحلَّ الله فيهم، فيصبحون آلهة - تعالى الله عن قولهم. ولنستمع إلى أحد أنمتهم<sup>(٣)</sup> معبراً عن هذا المعتقد بقوله: «إنَّ العارف من فَنِيَتْ ذاته وصفاته في ذاته تعالى وصفاته، فلم يبقَ له اسمٌ ولا رسمٌ»<sup>(٤)</sup>.

(1) نقلها عنه أبو السراج الطوسي في كتابه (اللمع) ص ٤٦١ .

(2) الفلسفة الصوفية في الإسلام لعبد القادر محمود ص ٣١٩ .

(3) هو عبيد الله بن أحرار النقشبندي .

(4) نقله عبد الوهاب الشعراني في كتابه (الأنوار القدسية في بيان آداب العبودية) ص ١٦٣ .



وهذه النقول اليسيرة - التي أوردتها على سبيل المثال، لا الحصر - يتضح أن عقيدة الحلول ليست من الإسلام في شيء، بل هي عقيدة إلحادية، دخيلة عليه، جاء الإسلام لمحاربتها وأشباهها من المعتقدات، وقد تسربت إليه من النصرانية المحرفة، أو الديانات الهندية أو المصرية القديمة، وحمّلها من وافقهم من غلاة الصوفية، وغيرهم .

## ٢- القول بالتثليث:

وهو صورة أخرى من صور الانحراف عن العقيدة الصحيحة . وقد وجد لدى بعض الأمم القديمة - سيما الهندية - تعاليم دينية تقول باللاهوت الثلاثي .

فقد ظهر التثليث - أولاً - في الديانة البرهمنية - إحدى الديانات الوضعية في بلاد الهند - ، والتي كان أتباعها يعبدون القوى المؤثرة في الكون وتقلباته - في زعمهم - ، «ثم لم يلبثوا أن جسّدوا تلك القوى؛ بأن اعتقدوا حلولها في بعض الأجسام؛ فعبدوا الأصنام لحلولها فيها، وتعدّدت آلهتهم حتى وصلت إلى ثلاثة وثلاثين إلهاً . ثم عرا عقائدهم التغير والتبدل، حتى انحصر الآلهة في ثلاثة أقانيم، وذلك ألّهم توهموا أن للعالم ثلاثة آلهة، وهي:

١- براهما، وهو الإله الخالق، مانح الحياة، القوي الذي صدرت عنه جميع الأشياء، والذي يرجو لطفه وكرمه جميع الأحياء، وينسبون إليه الشمس التي يكون بها الدفء وانتعاش الأجسام، وتُجري الحياة في الحيوان والنبات بزعمهم .

٢- سيفا، أو سيوا، وهو الإله المخرب المُفني، الذي تصفرُّ به الأوراق الخضراء، ويأتي الهرم بعد الشباب، وتفتى مياه الأنهار في لجج البحار . وينسبون إليه

أَثَرُ الْمَلَلِ وَالْتِحَالِ الْقَدِيمَةِ فِي بَعْضِ الْفِرَقِ الْمُتَنَسِّيَةِ إِلَى الْإِسْلَامِ - د. عَبْدُ الْقَادِرِ بْنُ مُحَمَّدٍ عَطَا صُوفِي

النَّارِ؛ لِأَنَّهَا عَنَصَرٌ مَدْمَرٌ مُخَرَّبٌ، إِنْ تَأَجَّجَ لَا يُبْقِي وَلَا يَذَرُ .

٣- ويشنو، أو بشن ... ويعتقدون أن ويشنو هذا حلّ في المخلوقات لبقِي العالم من الفناء التام ... وهذه الآلهة الثلاثة أقانيم لإله واحد في زعمهم...<sup>(١)</sup> .

فأتباع الديانة الهندوسية (البرهمنية) يعتقدون أن الله - تعالى وتقدس - له ثلاثة أقانيم؛ براهما (موجد العالم)، وويشنو (افظ العالم)، وسيفا (مهلك العالم)<sup>(٢)</sup> .

ومن يقرأ في كتب الهندوس، يُلاحظ - أيضاً - أنهم يعتقدون بوجود آلهة كثيرة أُخرى أقلّ قدراً من الإله المتقدّم ذي الأقانيم الثلاثة؛ فالسما - عندهم - لها إله، والأرض لها إله، والمطر كذلك، والرعْد، والنَّار، والصبح... إلخ<sup>(٣)</sup> .

يقول الشيخ محمد أبو زهرة [١٩٧٤م]: «ودون هذه الآلهة الثلاثة آلهة أخرى، دون هذه الآلهة سلطاناً، وقوّة، وعبادة . وهم من هؤلاء في الدرجة الثانية، أو الثالثة، أو الرابعة<sup>(٤)</sup> ..»<sup>(٥)</sup> .

لكنّ هذه الآلهة جميعاً، بل وجميع الكائنات صدرت عن الإله الواحد، وسرت منه روحٌ في الجماد، والنبات، والحيوان؛ فالموجود بحقّ - بزعمهم - هو

(١) مقارنات الأديان - الديانات القديمة - لمحمد أبو زهرة ص ٢٤ .

(٢) انظر أديان الهند الكبرى لأحمد شلبي ص ٢١٤ .

(٣) انظر آلهة في الأسواق لرؤوف شلبي ص ٩٩-١٠٠ .

(٤) وهم رموز وإشارات للإله الكبير؛ فعبادتها هي - في الحقيقة - عبادة له .

(٥) مقارنات الأديان - الديانات القديمة - لمحمد أبو زهرة ص ٢٤ .

الإله وحده، وليست الكائنات جميعها إلا مظاهر منه<sup>(١)</sup>. وهذا المذكور أخيراً من معتقدات البراهمة (الهندوس)، يُعبّر عنه بنظرية (وحدة الوجود) التي انتقلت منهم إلى غلاة المتصوفة، فحملوها، واعتنقوها، ودعوا الناس إليها.

وليست الهندوسية هي الديانة - الهندية - الوحيدة التي قالت بالتثليث، بل شاركتها البوذية أيضاً<sup>(٢)</sup>.

وكذا كانت العقيدة المصرية القديمة - أولاً - قائمة على تقديس ثلاثٍ مكوّنٍ من (أوزيريس) - إله الإنبات والخصوبة، أو إله النيل -، وزوجته (إيزيس) - إلهة الحكمة والتشريع والسحر -، وابنه (هوروس) - إله الإنتاج والعمارة -، والجميع يرجع إلى إله واحد<sup>(٣)</sup>.

ومن المؤكّد أنّ النصرانية المحرّفة استمدت فكرة الأقانيم الثلاثة من الهندوسية، أو من العقيدة المصرية القديمة، فخرجت على الناس بمعتقد التثليث: الأب، والابن، وروح القدس.

يقول بطرس البستاني [١٨٨٢م]: ( كلمة الثالث تُطلق عند النصارى على وجود ثلاثة أقانيم معاً في اللاهوت، تُعرف بالأب، والابن، والروح القدس<sup>(٤)</sup>. وهذه الأقانيم كلمة سريانية الأصل، مفردها "أقنوم"، وهو

(١) انظر الإنسان في ظلّ الأديان - المعتقدات والأديان القديمة - لعمارة نجيب ص ١٧٩، ١٨٨،

١٩١-١٩٢.

(٢) انظر العقائد الوثنية في الديانة النصرانية لمحمد طاهر التّبر ص ١٦-١٧.

(٣) انظر مقارنات الأديان - الديانات القديمة - لمحمد أبو زهرة ص ١١-١٢.

(٤) دائرة المعارف لبطرس البستاني ٣٠٥/٦.

أثرُ المللِ والتَّحَلُّ القَدِيمَةِ فِي بَعْضِ الْفِرَقِ الْمُتَنَسِّبَةِ إِلَى الْإِسْلَامِ - د. عَبْدُ الْقَادِرِ بْنُ مُحَمَّدٍ عَطَا صُوفِي

الشخص الكائن المستقل بذاته .

وهذا هو التثليث، الذي أخذته النصرانية - بعد انحرافها - عن الوثنيين .  
ولندع الكلام لشاهدٍ من أهلها؛ وهو (ول ديورانت) [Will Diorant]،  
يتحدّث عن هذا التأثير، فيقول: «لما فتحت المسيحية روما، انتقل إلى الدين  
الجديد دماء الدين الوثني القديم: لقب الحبر الأعظم، وعبادة الأم العظمى،  
وعدد لا يُحصى من الأرباب التي تبتّ الراحة والطمأنينة في النفوس، وتمتاز  
بوجود كائنات في كلّ مكانٍ لا تُدركها الحواسّ، كلّ هذا انتقل إلى المسيحية  
كما ينتقل دم الأم إلى ولدها... إنّ المسيحية لم تقض على الوثنية، بل تبتّتها؛  
ذلك أنّ العقل اليوناني عاد إلى الحياة في صورةٍ جديدة؛ في لاهوت الكنيسة  
وطقوسها، ونُقلت الطقوس اليونانية الخفية إلى طقوس القُدّاس الرهيبة، وجاءت  
من مصر آراء الثالوث المقدّس، ويوم الحساب، وأبدية الثواب والعقاب، وخلود  
الإنسان في هذا، أو ذاك...»<sup>(١)</sup> .

ولقد تأثرت بعض الفرق - المنتسبة إلى الإسلام - بعقيدة التثليث هذه؛  
فنظرة فاحصة في عقائد النصرانية<sup>(٢)</sup> تجعل الناظر يجزم بهذا التأثير، بسبب ما  
يلمحه من تشابه كبير بين الديانتين؛ فالإله عند النصرانية مكوّن من ثلاثة أقانيم؛  
هم عليّ، ومحمّد، وسلمان. لذلك يستعوضون عن التسمية بقولهم: بسر ع م س.  
فالعين (ع) هو عليّ بن أبي طالب، وهو المعنى؛ أي الذات الإلهية، والميم (م) هو

(1) قصة الحضارة لول ديورانت ٤١٨/١١ .

(2) من فرق الباطنية . تنتسب إلى محمّد بن نُصَيْر، وتعتقد ألوهية عليّ بن أبي طالب عليه السلام .  
ويجمعها مع الفرق الباطنية القول بأنّ للنصوص الشرعية ظاهراً وباطناً، وأنّ الباطن غير  
مراد، والقول بالتناسخ . (انظر طائفة النصرانية للدكتور سليمان الحلبي ص ٣٦-٣٩).

محمد، وهو الاسم، والحجاب، والنبي الناطق . أمّا السين (س) فهو سلمان الفارسي؛ وهو الباب الذي خلقه محمد -على حدّ زعمهم<sup>(١)</sup> . يقول سليمان أفندي الأضي<sup>(٢)</sup> [١٤١٠هـ] كاشفاً عن ديانة أبناء طائفته - النصيرية -: «... وهؤلاء الثلاثة - علي، محمد، سلمان - هم الثالوث الأقدس؛ فعليّ عندهم هو الأب، ومحمد الابن، وسلمان الفارسي هو الروح القدس»<sup>(٣)</sup> . والنصيرية - كشأن البرهمية - عندهم آلهة أقلّ منزلة من الثلاثة المتقدمين، وهم خمسة، يُطلقون عليهم اسم: الأيتام الخمسة، ويزعمون أنّ الذي خلقهم هو سلمان الفارسي، وينسبون إلى كلّ واحدٍ منهم ألوهية خاصة به، ونوعاً من الخلق مقصوراً عليه .

يقول الأضي [١٤١٠هـ] عن أبناء طائفته: «ويعترفون بأنّ السيّد سلمان خلق الخمسة الأيتام، والخمسة الأيتام خلقوا كلّ هذا العالم الموجود، وأنّ كلّ ترتيب السموات والأرض بيد هؤلاء الخمسة الأيتام؛ فالمقداد موكلّ بالعودة والصواعق والزلازل، وأبو الذرّ موكلّ بدوران الكواكب والنجوم، وعبد الله ابن راحة موكلّ بالرياح وبقبض أرواح البشر، ويعتقدون بأنّه عزرائيل الذي يأخذ الأرواح . وأمّا عثمان فهو الموكلّ بالمعدة، وحرارة الجسد، وأمراض

(١) انظر الحركات الباطنية في العالم الإسلامي للدكتور محمد أحمد الخطيب ص ٣٦٠.

(٢) من الطائفة النصيرية، ولد في أنطاكية - من إقليم أضنة- سنة ١٢٥٠هـ، وتلقى تعاليم الطائفة، ثمّ لم يلبث أن تنصّر على يد أحد المبشرين، وهرب إلى بيروت؛ حيث أصدر كتابه (الباكورة السليمانية)، يكشف فيه أسرار هذه الطائفة . ويعلم علم به أبناء طائفته، استرجعوه، وحين عاد وثبوا عليه وخنقوه، وأحرقوا جثته .

(٣) الباكورة السليمانية لسليمان الأضي ص ٣٠ .

أَثَرُ الْمَلَلِ وَالْحَلِّ الْقَدِيمَةِ فِي بَعْضِ الْفِرَقِ الْمُنْتَسِبَةِ إِلَى الْإِسْلَامِ - د. عَبْدُ الْقَادِرِ بْنُ مُحَمَّدٍ عَطَا صُوفِي

الإنسان . وأما قنبر فهو يُدخل الأرواح في الأجسام»<sup>(١)</sup> .

ونستطيع ممّا تقدّم أن نقول: إنّ التّليث عند النّصيريّة مشابهة له عند البرهميّة، ومن هنا نخوهم من الوثنيّين. وكذا يُشابه ما عند النّصرانيّة المحرّفة. وممّا يجدر ذكره أنّ النّصيريّين يُحاولون في كثيرٍ من كتبهم أن يُبرهنوا على أنّ الثالوث النّصراني (الأب، والابن، والروح القدس) لا يختلف عن ثلوثهم (ع. م. س)، بل يتفق معه<sup>(٢)</sup> .

وهذا يتبيّن من خلال مقارنة معتقدات الديانات القديمة، مع معتقدات بعض الفرق المنتسبة إلى الإسلام - في الله ﷻ - ، مدى التشابه الكبير بينهما، ممّا يجعل القارئ يجزم بتسرّب الأفكار والمعتقدات من الأسبقين إلى التالين .

---

(١) المرجع نفسه .

(٢) انظر الحركات الباطنيّة في العالم الإسلامي للخطيب ص ٣٥٢ .

## الوقفه الثانية: من خلال مقارنة معتقداتهم في الأنبياء:

الأنبياء عليهم الصلاة والسلام مصطفون من الله تعالى، اختارهم الله ﷻ لتبليغ رسالته إلى الناس، فأدوا الأمانة، وبلغوا الرسالة .  
وأمة محمد ﷺ تؤمن برسل الله جميعاً، ولا تفرق بين أحد منهم، وتعتقد أن رسالة النبي محمد ﷺ هي خاتمة الرسالات، والمهيمنة عليها .  
وبجانبيهم نجد أهل الديانتين المحرفتين؛ اليهود والنصارى يكفرون بأكثر رسل الله، ولا يؤمنون بهم، ويجوزون على أنبياء الله معصية الله تعالى في جميع كبائر الذنوب وصغائرها، خلا الكذب في التبليغ فقط .

فاليهود - مثلاً - لم يكتفوا بنسبة المعصية إلى الأنبياء عليهم السلام، بل نسبوا إلى بعضهم ما يترفع عن ارتكابه أهل الفسق والجون .

فرعموا أن نبي الله لوطاً - عليه السلام - الذي شهد له ولبناته أعداؤه بالطهر والعفاف :- ﴿أَخْرَجُوهُمْ مِنْ قَرْيَتِهِمْ أَنْهُمْ أَنْاسُ يَطْهَرُونَ﴾ [الأعراف: ٨٢] - بعد أن أنجاه الله من القرية التي كانت تعمل الخبائث، شرب الخمر، ثم زنى بابنتيه، فحبلنا منه . وهذا نصّ تورااة اليهود المحرفة: «وصعد لوطاً من صُوغَرَ، وسكن في الجبل، وابنتاه معه؛ لأنّه خاف أن يسكنَ في صُوغَرَ، فسكنَ في المغارة هو وابنتاه، وقالت البكر للصغيرة: أبونا قد شاخ، وليس في الأرض رجلٌ يدخل علينا كعادة كُلِّ الأرض، هلمْ نسقي أبانا حمراً ونضطجع معه، فَنُحْيِي من أبينا نسلًا . فسقنا أباهما حمراً في تلك الليلة، ودخلت البكر واضطجعت مع أبيها، ولم يعلم باضطجاعها ولا بقيامها . وَحَدَّثَ في الغد أن البكر قالت للصغيرة: إِنِّي اضطجعتُ البارحة مع أبي . نَسَقِيه حَمَراً الليلة أيضاً، فادخلي اضطجعي معه، فَنُحْيِي من أبينا نسلًا . فسقنا أباهما حمراً في تلك الليلة أيضاً، وقامت الصغيرة واضطجعت معه، ولم

أَثَرُ الْمَلَلِ وَالْحَلِّ الْقَدِيمَةِ فِي بَعْضِ الْفُرُقِ الْمُتَنَسِّبَةِ إِلَى الْإِسْلَامِ - د. عَبْدُ الْقَادِرِ بْنُ مُحَمَّدٍ عَطَا صُوفِي

يعلم باضطجاعها ولا بقيامها. فحبلت ابنتا لوطٍ من أبيهما، فولدت البكر ابناً ودعت اسمه موآب، وهو أبو الموابيين إلى اليوم، والصغيرة أيضاً ولدت ابناً ودعت اسمه بَنَ عَمِّي، وهو أبو بني عَمُّون إلى اليوم»<sup>(١)</sup>.

ولم يكتف اليهود بنسبة الفاحشة إلى هذا النبي الكريم ﷺ، بل نسبوا إلى - من زكاه ربه ﷺ بقوله: ﴿وَاذْكُرْ عَبْدًا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ [ص، ١٧] - داود ﷺ أَنَّهُ تَأَمَّرَ عَلَى قَائِدِ جَيْشِهِ، فَقَتَلَهُ طَمَعًا فِي الزَّوْجِ مِنْ امْرَأَتِهِ - الَّتِي رَأَاهَا تَسْتَحِمُّ، فَوَقَعَتْ فِي قَلْبِهِ، فزنى بها، فحبلت منه، فدبَّرَ مُؤَامَرَةً لِلتَّخْلُصِ مِنْ زَوْجِهَا، ثُمَّ تَزَوَّجَهَا سِتْرًا عَلَى فَعْلَتِهِ<sup>(٢)</sup>.

بل زعموا أَنَّ الْمَزَكَّى مِنْ رَبِّهِ ﷺ بقوله: ﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ [ص، ٣٠]؛ سُلَيْمَانَ ﷺ قَدْ وَقَعَ مِنْهُ الشَّرْكُ نَتِيجَةً تَعَلُّقَهُ بِنِسَانِهِ اللَّوَاتِي أَمَلْنَ قَلْبَهُ وَرَاءَ آلِهَةٍ أُخْرَى<sup>(٣)</sup>.

والتوراة المحرَّفة حُبَلَى بِأَمْثَالِ هَذِهِ النُّصُوصِ الَّتِي لَا تُرَاعِي حُرْمَةَ الرِّسَالَةِ، وَلَا تُبَالِي بِعِزَّةِ النُّبُوَّةِ.

أَمَّا نَظَرَةُ النَّصَارَى إِلَى الْأَنْبِيَاءِ - خَلَا نَبِيِّهِمْ عِيسَى ﷺ -، فَإِنَّهُمْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِرَسُولِنَا مُحَمَّدٍ ﷺ، وَرَأَوْا أَنَّ الْأَنْبِيَاءَ - قَبْلَ نَبِيِّهِمْ - عُصَاةٌ، قَدْ حَمَلُوا جَرِيرَةَ أَبِيهِمْ آدَمَ ﷺ حِينَ عَصَى رَبَّهُ فَأَكَلَ مِنَ الشَّجَرَةِ، فَلَزِمَتْهُمْ الْخَطِيئَةُ، حَتَّى جَاءَهُمْ مَنْ يُخَلِّصُهُمْ مِنْ ذَنْبٍ لَمْ يَرْتَكِبُوهُ<sup>(٤)</sup>.

(1) العهد القديم: سفر التكوين ١٩: ٣٠-٣٨.

(2) انظر العهد القديم: سفر صموئيل الثاني ١١: ٢-٢٧.

(3) انظر العهد القديم: سفر الملوك الأول ١١: ١-١٣.

(4) انظر عصمة الأنبياء بين اليهودية والمسيحية والإسلام لحمود ماضي ص ٥٤.



وكذا لو نظرنا في معتقدات البراهمة (الهندوس)، نلمحها ناضحةً بإنكار النبوات، والتكذيب بوجود الأنبياء؛ فـ(براهما) الرجل الذي ينتسبون إليه قرّر استحالة بعثة الأنبياء عقلاً .

يقول أبو الفتح محمد بن عبدالكريم الشهرستاني (ت ٥٤٨هـ): « وهؤلاء البراهمة إنما انتسبوا إلى رجلٍ منهم يُقال له براهم، وقد مهّد لهم نفي النبوات أصلاً، وقرّر استحالة ذلك في العقول»<sup>(١)</sup> .

ووافق أغلب البوذية البراهمة في معتقدهم هذا، وعلّلوا إنكارهم النبوة بأنّ الأرواح قد أودعت قوى تستطيع بها أن تعرف الخير من الشرّ، ومن أجل ذلك لا يُرسل الله رسلاً اكتفاءً بذلك<sup>(٢)</sup> .

وهذا التكذيب بالأنبياء، وعدم الإيمان بهم حقيقةً، وُجد عند كثيرٍ من الفرق المنتسبة إلى الإسلام:

منها: أغلب فرق الباطنية؛ كالإسماعيلية<sup>(٣)</sup>، والنصيرية، والدروز<sup>(٤)</sup>، ونحوهم؛ الذين يعتقدون أنّ الأنبياء عليهم الصلاة والسلام طلاب دنيا ورناسة،

(١) الملل والنحل للشهرستاني ص ٥٠٦-٥٠٧ .

(٢) انظر أديان الهند الكبرى لأحمد شلبي ص ١٨٢ .

(٣) من فرق الباطنية . قالت بإمامة محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق . يجمعها مع فرق الباطنية القول بالظاهر والباطن للنصوص الشرعية، والقول بالتناسخ أيضاً . (انظر طائفة الإسماعيلية لمحمد كامل حسين ص ١١ وما بعدها) .

(٤) من فرق الباطنية. تعتقد ألوهية الحاكم بأمر الله. تربّت في أحضان الإسماعيلية، ثم انشقت عنها، وخرجت عليها بعض المعتقدات التي تُخالفها - ظاهراً . (انظر الحركات الباطنية للخطيب ص ١٩٩) .

أَثَرُ الْمَلَلِ وَالْحَلِّ الْقَدِيحَةِ فِي بَعْضِ الْفِرَقِ الْمُتَنَسِّبَةِ إِلَى الْإِسْلَامِ - د. عَبْدُ الْقَادِرِ بْنُ مُحَمَّدٍ عَطَا صُوفِي

منهم من أحسن في طلبها، ومنهم من أساء .

فمن العقائد الرئيسية في الديانة الدرزية: إنكار ومحاربة جميع الأنبياء والرسل، وشرائعهم، ونسبتهم إلى الجهل، لكونهم دعوا النَّاسَ إلى توحيد العدم - بزعمهم - وما عَرَفُوا الإله الظاهر - الحاكم بأمر الله<sup>(١)</sup> .

والملاحظ أنَّهم يقذفون الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - بأقذع وأفحش الأسماء والألفاظ؛ كالقيل، والدبر، والبول، والغائط . ولا يخلو مجلسٌ من مجالسهم من التشيع، والسبِّ، والشتم لأولئك المصطفين الأخيار<sup>(٢)</sup> .

وهم يُطلقون على أولي العزم من الرسل (نوح، إبراهيم، موسى، عيسى، محمد - عليهم الصلاة والسلام) اسم إبليس، والشيطان<sup>(٣)</sup> .

ونظرة في معتقدات القاديانية تؤكد أنَّ زعيم هذه الفرقة، وأتباعه يُنكرون أنَّ تكون رسالة نبينا ﷺ خاتمة الرسالات، ويزعمون أنَّ النبوة جارية، وأنَّ الله يُرسل رسلاً حسب الضرورة<sup>(٤)</sup> .

يقول محمود أحمد؛ ابن القاديانيِّ الكذاب، وخليفته الثاني: «نحن - أي القاديانية - نعتقد بأنَّ الله لا يزال يُرسل الأنبياء لإصلاح هذه الأمة، وهدايتها على حسب الضرورة»<sup>(٥)</sup> .

ولا يكتفون بذلك، بل يُفضِّلون نبيَّهم المزعوم على سائر الأنبياء، بل وعلى

---

(١) انظر خطط الشام لمحمد كرد علي ٢٦٤/٦ .

(٢) انظر الحركات الباطنية في العالم الإسلامي للخطيب ص ٣٠٢ .

(٣) انظر عقيدة الدروز لمحمد أحمد الخطيب ص ١٧٠ .

(٤) انظر القاديانية والاستعمار الإنجليزي لعبد الله سلوم السامرائي ص ١٦٦-١٦٧ .

(٥) جريدة (الفضل) القاديانية، عدد ١٤ مايو ١٩٢٥م. نقلاً عن القاديانية - دراسات وتحليل

- لإحسان إلهي ظهير ص ١٠٢ .

نبينا محمد ﷺ أيضاً<sup>(١)</sup> .

يقول غلام أحمد القادياني - نبي القاديانية المزعوم - (ت ١٩٠٨م): «أنا أفضل من جميع الأنبياء والرسل، ولذا سُميت آدم، وشيثاً، ونوحاً، وإبراهيم، وإسحاق، وإسماعيل، ويعقوب، ويوسف، وموسى، وداود، وعيسى»<sup>(٢)</sup> .  
ويقول في موضع آخر: «وأتاني ما لم يؤت أحداً من العالمين»<sup>(٣)</sup> .  
وقد حاول القادياني أن يُقلد الأنبياء الذين يُطلعهم الله ﷻ على المغيبات، فادّعى - كذباً - أن الله تعالى أطلعه على كثير من أمور الغيب، وأخبر بها أتباعه، ولكن لم يصدّق من تلك الأخبار خيرٌ واحد، بل كانت كلّها كاذبة، لا توافق الواقع البتة<sup>(٤)</sup> .

وكذا لو تأمل الناظر في أفكار ومعتقدات المذاهب المعاصرة؛ من علمانية، وقومية، وشيوعية، لخرج بنتيجة مفادها: أن تلك المذاهب تُنكر النبوة، وتدعو إلى الإلحاد .

وهذا يؤكّد مدى التشابه الموجود بين الأديان القديمة، والمذاهب المعاصرة في موقفهم من الأنبياء والمرسلين، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، ممّا يجعل الباحث يجزم بتأثير اللاحقين بال سابقين .

(١) انظر القاديانية لإحسان إلهي ظهير ص ٥٧-٥٨، ٦٥-٦٦ .

(٢) هامش حقيقة الوحي للقادياني ص ٧٢، نقلاً عن القاديانية لإحسان ص ٧١ .

(٣) إعجاز أحمدى للقادياني ص ٨٧، نقلاً عن القاديانية لإحسان ص ٦٩ .

(٤) انظر القاديانية لإحسان إلهي ظهير ص ١٠٧ وما بعدها .

### الوقفه الثالثة: من خلال مقارنة معتقداتهم في اليوم الآخر:

من المعلوم من الدين بالضرورة أَنَّ النَّاسَ إِذَا مَاتُوا فَقَدْ قَامَتْ قِيَامَتُهُمْ، ودخلوا في دار البرزخ التي تستمرّ حتى يوم البعث .

وبعد دار البرزخ، يُبعث النَّاسُ من قبورهم للحساب والجزاء .

فمن أنكر شيئاً من ذلك، فقد أنكر معلوماً من الدين بالضرورة .

ومن أنكر معلوماً من الدين بالضرورة، فهو كافر .

فمن أنكر البعث بعد الموت، والجزاء، والحساب، والجنة، والنار، فهو كافر؛ لقوله تعالى: ﴿ زَعِمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّنِي يُعْثُوا قُلُوبِي وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّيُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ [النحل: ٧١] .

وقد دخل على أصحاب الديانات السابقة تحريفٌ خطيرٌ في معتقد الإيمان بالبعث بعد الموت، وما يعقبه من الحساب والجزاء .

فاليهود يعتقدون برجعة بعض الأموات - وهم بنو إسرائيل - إلى دار الدنيا قبل يوم القيامة . وهذه العقيدة من لوازم إيمانهم بـ(المخلص المنتظر)، وبـ(يوم الرب)، أو(آخر الأيام)، وكلُّها تنضوي تحت ما يُسمَّى(الإيمان بالأخرويات) (Eschatology)؛ أي الأمور الحادثة في آخر الزمان، والبعث، والآخرة .

ورد في كتاب دانيال قوله - في معرض حديثه عن آخر الأيام -: «وفي ذلك الوقت يقوم ميخائيل الرئيس العظيم القائم لبني شعبك، ويكون زمان ضيق، لم يكن منذ كانت أمة إلى ذلك الوقت. وفي ذلك الوقت يجيء شعبك؛ كلُّ مَنْ يُوجد مكتوباً في السّفر، وكثيرون من الراقدين في تراب الأرض يستيقظون؛ هؤلاء إلى الحياة الأبدية، وهؤلاء إلى العار للآلذراء الأبدية، والفاهمون يُضنون

كضياء الجلد . والذين رُدُّوا كثيرين إلى البرِّ كالكوكب إلى أبد الدهور»<sup>(١)</sup> .  
وليس المراد هاهنا القيامة الكبرى؛ لأنَّ قوله: «وكثيرون من الراقدين في  
تراب الأرض يستيقظون» لا يعني الكلَّ، وما ورد من الإشارة إلى الحياة الأبدية،  
والعار الأبدية، يُحمل على الثواب والعقاب الدنيوي في عهد المخلص المنتظر  
عند اليهود؛ لأنَّا نجد في كتاب (دانيال) نصوصاً كثيرة تُصرِّح بأبدية مملكة  
المخلص المنتظر<sup>(٢)</sup> .

وقد ورد في سفر (حزقيال) وصفٌ دقيقٌ لكيفية رجعة اليهود إلى الدنيا،  
وكيف تتجمّع العظام، ثمَّ تُكسى باللحم والعصب والجلد، ثمَّ تدخل الروح في  
البدن، وتنشق القبور، ويخرج الأموات منها: «... فدخل فيهم الروح، فحيوا،  
وقاموا على أقدامهم، جيشٌ عظيمٌ جداً جداً. ثمَّ قال لي: يا ابن آدم ! هذه  
العظام هي كلَّ بيت إسرائيل. ها هم يقولون: يبست عظامنا، وهلك رجاؤنا، قد  
انقطعنا . لذلك تنبأ وقل لهم: هكذا قال السيّد الربّ: ها أنذا أفتح قبوركم،  
وأصعدكم من قبوركم يا شعبي، وآتي بكم إلى أرض إسرائيل»<sup>(٣)</sup> .

والنصارى - أيضاً - يعتقدون برجعة المسيح ﷺ - ومعه جماعة كبيرة ممّن  
ماتوا - إلى دار الدنيا، قبل يوم القيامة، ولعلَّ في رسالة (بولس) - الأولى - إلى  
أهل (تسالونيكي) ما يوضّح ذلك، ومّا جاء فيها: «ثمَّ لا أريد أن تجهلوا أيّها  
الإخوة من جهة الراقدين - الأموات - ، لكي لا تحزنوا كالباقين الذين لا رجاء  
لهم؛ لأنّه إن كنّا نؤمن أن يسوع مات وقام، فكذلك الراقدون سيُحضرهم الله

(1) سفر دانيال ١١ : ٣-١ .

(2) انظر سفر دانيال ٢ : ٤٤، ٧ : ١٣-١٤ .

(3) سفر حزقيال ٣٧ : ١-١٢ .

أَثَرُ الْمَلَلِ وَالْحَلِّ الْقَدِيمَةِ فِي بَعْضِ الْفِرَقِ الْمُتَنَسِّبَةِ إِلَى الْإِسْلَامِ - د. عَبْدُ الْقَادِرِ بْنُ مُحَمَّدٍ عَطَا صُوفِي  
أَيْضاً مَعَهُ»<sup>(١)</sup> .

وقد ذكر بولس - في رسالته الثانية - أشراطاً كثيرة لا بُدَّ أن تقع قبل رجعة المسيح<sup>(٢)</sup> وَمِنْ مَعَهُ، مِنْهَا: ارتداد النَّاسِ، ومجاهرتهم بالمعاصي؛ «لأنَّه لا يأتي إن لم يأت الارتداد أولاً، ويستعلن إنسان الخطيئة»<sup>(٣)</sup> .  
ومن اليهود والنصارى انتقل معتقد الرجعة إلى الرافضة الذين ألفوا الكتب الكثيرة لإثبات هذا المعتقد الدخيل<sup>(٤)</sup> .

وقد عرَّفوا الرجعة بقولهم: «الرجعة: عبارة عن حشر قوم عند قيام القائم الحجة بن الحسن<sup>(٥)</sup>، ثُمَّ تَقْدَمُ مَوَاقِمُ؛ مِنْ أَوْلِيَائِهِ وَشِيعَتِهِ، لِيَفُوزُوا بِثَوَابِ نَصْرَتِهِ وَمَعُونَتِهِ، وَيَتَهَجَّجُوا بِظُهُورِ دَوْلَتِهِ؛ وَقَوْمٌ مِنْ أَعْدَائِهِ يَنْتَقِمُ مِنْهُمْ، وَيَنَالُونَ بَعْضُ مَا يَسْتَحِقُّونَهُ مِنَ الْعَذَابِ وَالْقَتْلِ عَلَى أَيْدِي شِيعَتِهِ، وَلِيُتْلَوْا بِالذِّلِّ وَالْخِزْيِ بِمَا يُشَاهِدُونَهُ مِنْ عُلُوِّ كَلِمَتِهِ . وَهِيَ عِنْدَنَا الْإِمَامِيَّةُ الْإِثْنَا عَشْرِيَّةُ تَخْتَصُّ بِمَنْ مَحَضَ الْإِيمَانَ وَمَحَضَ الْكُفْرَ، وَالْبَاقُونَ سَكُوتٌ عَنْهُمْ»<sup>(٦)</sup> .

وواضح من قوله، أنَّ الرجعة لا تكون إلا لمن بلغ درجة عالية في الإيمان، أو من بلغ الغاية في الفساد والكفران .

وهذا المعتقد حملته فرق الرافضة جميعها - سيما الإمامية منهم - ، وجزم

(1) العهد الجديد: رسالة بولس الأولى إلى أهل تسالونيكي ٤: ١٣-١٤ .

(2) نحن لا نؤمن أنَّ المسيح<sup>(عليه السلام)</sup> قد مات، بل معتقدنا أنَّ الله رفعه إليه، وأنَّه سينزل في آخر الزمان. ونزوله لا يُوافق معتقد النصارى في رجعته ورجعة عدد من الأموات معه.

(3) العهد الجديد: رسالة بولس الثانية إلى أهل تسالونيكي ٢: ٣ .

(4) منها: إكمال الدين وإتمام النعمة في إثبات الرجعة لابن بابويه القمي، والإيقاظ من الهجعة بالبرهان على الرجعة للحر العاملي، والرجعة لأحمد الأحساني، وغيرها .

(5) عقائد الإمامية الإثني عشرية لإبراهيم الزنجاني ٢/ ٢٢٨ .

بصحته كبار علمائهم .

فهذا أحدهم يقول: «اعتقادنا في الرجعة أنّها حقٌّ»<sup>(١)</sup> .

وآخر يقول: «إجماع جميع الشيعة الإمامية، وإطباق الطائفة الإثني عشرية على اعتقاد صحة الرجعة، فلا يظهر منهم مخالفٌ يُعتدّ به من العلماء السابقين ولا اللاحقين»<sup>(٢)</sup> .

وهذا ما جعل المستشرق (برنارد لويس) [Bernard Lewis] يجزم بأنّ اعتقاد الرجعة من خصائص فرق الشيعة، بقوله: «ومن هنا ظهرت لأوّل مرة عقيدة الغيبة والرجعة المهدويتين اللتين هما من خصائص جميع فرق الشيعة المتأخّرة تقريباً»<sup>(٣)</sup> .

فمعتقد الرجعة - إذاً - أخذه الرافضة عن اليهود كما تبين .  
وثمة عقيدة أخرى خالفت معتقد المسلمين في اليوم الآخر، ألا وهي عقيدة تناسخ الأرواح، المبنية على إنكار البعث بعد الموت، والجزاء على الأعمال .  
وأوّل من قال بها أصحاب الديانات الهندية الوضعية؛ كالهندوسية، والبوذية، الذين يُنكرون البعث بعد الموت، والجزاء والحساب في الآخرة جملةً وتفصيلاً، ويقولون بوجوب الجزاء والحساب على الأعمال - من خيرٍ وشرٍّ - في دار الدنيا، لا في الآخرة، ويعتقدون أنّ الروح تنتقل من جسدها عند الموت إلى جسدٍ آخر غير السابق، ويُطلقون على ذلك اسم (سمسارا Samsara)؛ «فالنفس - الروح - أبدية الوجود، لا عن ولادة، ولا إلى تلفٍ وعدم، بل هي

(١) علم اليقين في أصول الدين لحسن الكاشاني ٨٢٧/٢ .

(٢) الإيقاظ من الهجعة بالبرهان على الرجعة للحر العاملي ص ٤٢ .

(٣) أصول الإسماعيلية لبرنارد لويس ص ٨٨ .

أَثَرُ الْمَلَلِ وَالْحَلِّ الْقَدِيمَةِ فِي بَعْضِ الْفِرَقِ الْمُنْتَسِبَةِ إِلَى الْإِسْلَامِ - د. عَبْدُ الْقَادِرِ بْنُ مُحَمَّدٍ عَطَا صُوفِي

ثابِتَةٌ قَانِمَةٌ، لَا سَيْفٌ يَقْطَعُهَا، وَلَا نَارٌ تُحْرِقُهَا، وَلَا مَاءٌ يُغْصِّهَا، وَلَا رِيحٌ تُبْسِئُهَا،  
لَكِنِهَا تَنْتَقِلُ عَنْ بَدَنِهَا إِذَا عُنِقَ، نَحْوَ آخِرِ...»<sup>(١)</sup>.

وَمِنْ ذَلِكَ جَاءَ اعْتِقَادُهُمْ فِي تَنَاسُخِ الْأَرْوَاحِ، وَهُوَ الطَّابِعُ الَّذِي امْتَازَتْ بِهِ  
النَّحْلَةُ الْهِنْدِيَّةُ - سَيِّمَا الْبِرَهْمِيَّةُ - ، حَتَّى قَالَ الْبِيروني (ت ٤٤٠هـ) فِي ذَلِكَ:  
«كَمَا أَنَّ الشَّهَادَةَ بِكَلِمَةِ الْإِخْلَاصِ شِعَارُ إِيْمَانِ الْمُسْلِمِينَ، وَالتَّثْلِيثُ عَلَامَةُ  
النَّصْرَانِيَّةِ، وَالْإِسْبَاتُ<sup>(٢)</sup> عَلَامَةُ الْيَهُودِيَّةِ، كَذَلِكَ التَّنَاسُخُ عِلْمُ النَّحْلَةِ الْهِنْدِيَّةِ،  
فَمَنْ لَمْ يَنْتَحِلْهُ، لَمْ يَكُ مِنْهَا، وَلَمْ يُعَدَّ مِنْ جَمَلَتِهَا»<sup>(٣)</sup>.

وَاعْتِقَادُهُمْ بِتَنَاسُخِ الْأَرْوَاحِ أَمْرٌ نَاتِجٌ عَنْ إِنْكَارِهِمُ الْبَيْعَ؛ لِأَنَّهُمْ يَرَوْنَ -  
كَمَا مَرَّ - أَنَّ الْجَزَاءَ يَكُونُ عَلَى الرُّوحِ حِينَ انْتِقَالِهَا بَيْنَ الْأَجْسَادِ؛ إِذْ مِنْ  
عَقَائِدِهِمْ أَنَّ مَنْ مَاتَ انْتَقَلَتْ رُوحُهُ إِلَى حَيٍّ جَدِيدٍ، ثُمَّ إِلَى آخَرَ بَعْدَ مَوْتِهِ، ثُمَّ إِلَى  
ثَالِثٍ، وَهَكَذَا، إِلَى مَا لَا نَهَايَةَ، وَهَذِهِ الرُّوحُ لَا بُدَّ أَنْ تَلْقَى مَعَاقِبَةً أَوْ إِثَابَةً  
الْأَعْمَالِ الَّتِي لَمْ تَلَقْ جَزَاءَهَا فِي الْحَيَاةِ السَّابِقَةِ .

وَلَيْسَ أَمَامَ الرُّوحِ - فِي الدِّيَانَاتِ الْهِنْدِيَّةِ الْقَدِيمَةِ - إِذَا تَخَلَّصَتْ مِنْ بَدَنِهَا إِلَّا  
أَحَدُ ثَلَاثَةِ عَوَالِمَ تَتَّصِلُ بِهَا؛ «أَوَّلُهَا الْعَالَمُ الْأَعْلَى، وَهُوَ الْمَلَائِكَةُ، تَصْعَدُ إِلَيْهِ الرُّوحُ إِنْ  
كَانَتْ بِعَمَلِهَا تَسْتَأْهِلُ الصُّعُودَ إِلَيْهِ، وَالْخَلَاصَ مِنَ الْجِسْمِ، وَالسَّمَوِّ إِلَى الْمَلَكُوتِ  
الْأَعْلَى؛ وَالْعَالَمُ الثَّانِي عَالَمُ النَّاسِ، وَهُوَ عَالَمُنَا الْحَاضِرُ مَعِشَرِ الْآدَمِيِّينَ، وَالنَّفْسُ تَعُودُ  
إِلَيْهِ بِالْحُلُولِ فِي جِسْمِ إِنْسَانٍ آخَرَ، لَتَكْتَسِبَ عَمَلٌ خَيْرٍ، وَلَتَجْتَنِبَ عَمَلٌ شَرٍّ، إِذَا  
كَانَتْ أَعْمَالُهَا فِي الْجِسْمِ الْأَوَّلِ لَا تَرْفَعُهَا إِلَى مَرَاتَبِ التَّقْدِيسِ فِي أَعْلَى عِلِّيِّينَ،

(1) تَحْقِيقُ مَا لِلْهِنْدِ مِنْ مَقُولَةٍ مَقْبُولَةٍ فِي الْعَقْلِ أَوْ مَرْدُولَةٍ لِلْبِيروني ص ٤٠ .

(2) أَيُّ قِيَامِ الْيَهُودِ بِأَمْرِ السَّبْتِ . (الْقَامُوسُ الْحَيْطُ لِلْفَيُوزِ أَيْدِي ص ١٩٥) .

(3) تَحْقِيقُ مَا لِلْهِنْدِ مِنْ مَقُولَةٍ مَقْبُولَةٍ لِلْبِيروني ص ٣٩ .



ولا تنزل بها إلى أسفل سافلين في العالم الثالث، وهو عالم جهنم»<sup>(١)</sup> .  
وعالم جهنم هذا ليس في درجة واحدة، فقد يكون انتقال الروح إلى جسد شيطان، وقد يكون إلى حيوان، وقد يكون إلى حشرات؛ فقد ورد في شريعة (منو) أن «الطالب الذي يستمع إلى غيبة شيخه، يُولد في الحياة الثانية في جنس الحمار، والذي ينتقده، يُولد في هيئة الشيطان، والذي يُضَيِّع أمواله، يُولد في حالة الحشرات»<sup>(٢)</sup> .  
بل «إنَّ أخطأ درجات الظلمة تجعل من المخلوقات جمادات، وحشرات صغيرة وكبيرة، وسمكاً، وحيات، وسلاحف، وحيوانات أهيئة، وأخرى ضارية . والدرجة المتوسطة من درجات الظلمة، تجعل من المخلوقات فيلة، أو خيلاً، أو أناساً من طبقات الشودرا»<sup>(٣)</sup>، أو من طبقة الأسافل، أو أسوداً، أو غموراً، أو خنازير ..»<sup>(٤)</sup> .  
وعقيدة التناسخ هذه، قد قامت عند أهلها القائلين بها على دعائم أربع<sup>(٥)</sup> :  
١- أن الدنيا دار الجزاء؛ ثواباً كان، أو عقاباً .  
٢- أن رجوع الروح إلى الدنيا يتكرر مراراً؛ بولادة في جسد جديد، أو بغير ولادة .

- (١) مقارنات الأديان - الديانات القديمة - لمحمد أبو زهرة ص ٤٣ .
- (٢) شريعة (منو)، الباب الثاني: ٢٠١، نقلاً عن مقارنات الأديان لأبي زهرة ص ٤٣-٤٤ .
- (٣) الشودرا هي أخطأ طبقات الهندوس، وهم الذين خُلِقوا - بزعم علماء الهندوس - لخدمة الطبقات الأخرى - البراهمة، الكاستريا، ويشا (بويسيه) . [الشيخ، أو العدو الخفي لمحمد إبراهيم الشيباني ص ١٢، ٢٢-٢٣] .
- (٤) البوذية: تاريخها، وعقائدها، وعلاقتها بالصوفيّة لعبد الله نومسوك ص ٢٥٤ .
- (٥) انظر: الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم ١٦٥/١-١٦٩ . والملل والنحل للشهرستاني ص ٣٤٣-٣٤٤، ٥٩٩ .

أَثَرُ الْمَلَلِ وَالْحَلِّ الْقَدِيمَةِ فِي بَعْضِ الْفِرَقِ الْمُتَنَسِّبَةِ إِلَى الْإِسْلَامِ - د. عَبْدُ الْقَادِرِ بْنُ مُحَمَّدٍ عَطَا صُوفِي

٣- أن هذا التكرار لا نهاية له - عند أصحاب هذا المعتقد الفاسد -، إلا بالترقي التدريجي في درجات التناسخ، فتُصَفَّى الروح الطيبة شيئاً فشيئاً، حتى تصل إلى درجة معينة، هي بالنسبة لها نهاية الكمال .

٤- أن الأرواح يتميز طيها من حيثها في درجات التناسخ .

وعن هذه البيانات الوضعية - الهندوسية، والبوذية - أخذت بعض فرق الباطنية؛ كالإسماعيلية، والثَّصِيرِيَّة، والدرُوز معتقد تناسخ الأرواح، واستغلته «لنسخ مبدأ المعاد، وإنكار الجنة والنار، والطعن بالفرائض، وإباحة المحرمات»<sup>(١)</sup> .

فالإسماعيلية يعتقدون أن أرواح مخالفيهم لا تزال تناسخها الأبدان، وتعرض فيها للألم والأسقام؛ فلا تُفارق بدنًا، إلا ويتلقاها آخر، وهذا هو عقابها<sup>(٢)</sup> .

يقول أحد دعاة - وهو إبراهيم بن الحسين الحامدي (ت ٥٥٧ هـ) - مقررًا ذلك: «إنَّ النَّفْسَ فِي عَالَمِ الْكُونِ وَالْفَسَادِ كَانَتْ فِي الْأَجْسَادِ، وَهِيَ الْأَرْوَاحُ الْهَابِطَةُ لِلزَّلَّةِ الَّتِي كَانَتْ مِنْهَا، وَالْخَطِيئَةُ الَّتِي جَنَّتْهَا؛ فَأُهْبِطَتْ وَأُبْعِدَتْ مِنْ دَارِ الْكَرَامَةِ، فَبَقِيَتْ مَعْدَبَةً مَرْبُوطَةً بِالطَّبِيعَةِ الْحَسِيَّةِ، وَالتَّكْلِيفَاتِ الْإِلَازِمَةِ لَهَا فِي الشَّرَائِعِ النَّامُوسِيَّةِ، جَزَاءً لَهَا بِمَا أَسْلَفَتْ»<sup>(٣)</sup> .

فأرواح المخالفين للإسماعيلية تبقى محبوسة في الأبدان أبد الدهر، والبدن بالنسبة لها هو القبر؛ كما ورد في تأويلاتهم الباطنية: «والقبر: فهو الصورة الجسمانية، والهياكل الجرمانية»<sup>(٤)</sup> .

(١) الشعوبية حركة مضادة للإسلام والأمة العربية لعبد الله سلوم السامرائي ص ٦٢ .

(٢) انظر الإفحام لأفتنة الباطنية الطغام ليحيى بن حمزة العلوي ص ٢١ .

(٣) كنز الولد للحامدي ص ١١٢-١١٣ .

(٤) الدستور ودعوة المؤمنين للحضور لشمس الدين الطيبي ص ٩٣ .

واعتقد التصيرية كذلك تناسخ الأرواح، وقالوا: «ليس قيامة، ولا آخرة، وإنما هي أرواح تناسخ بالصور، فمن كان محسناً، جُوزي بأن يُنقل روحه إلى جسد لا يلحقه فيه ضرر ولا ألم، ومن كان مسيئاً، جُوزي بأن يُنقل روحه إلى أجساد يلحق الروح في كونه فيها الضرر والألم، وليس شيء غير ذلك، وأنّ الدنيا لا تزال أبداً هكذا»<sup>(١)</sup>.

فالمعاد - عندهم - عودة أرواح مؤمنهم إلى العالم الروحاني - الذي منه انفصالها - بعد أدوار تتردّد فيها في الأجساد . أمّا مخالفوهم فأرواحهم تناسخ أيضاً، ولكنّ شتّى بين تناسخ هذه الأرواح وتلك؛ فأبناء طائفتهم لا يجري عليهم المسخ - وهو انتقال الروح من جسد آدمي إلى جسد حيوان - ، وإنما يجري عليهم التسخ - وهو انتقال الروح من جسد آدمي إلى جسد آدمي آخر - لعدّة دورات، تُظهر أرواحهم فيها تماماً، وتصير نوراً خالصاً، ثمّ تصعد إلى السماء، لتتخذ من الكواكب والنجوم مستقرّاً لها؛ أي أنّها تلحق بالعالم النوراني الأكبر - على حدّ زعمهم - ؛ فتكون بذلك قد عادت إلى مستقرّها الأصليّ الحقيقي<sup>(٢)</sup>.

أمّا مخالفوهم - وهم الذين لا يؤمنون بالوحيّة علي بن أبي طالب ﷺ - ، فيجري عليهم سائر أشكال التناسخ - عدا التسخ - ؛ «لأنّ الواحد منهم لا يُركّب في صورة إنسانيّة أصلاً، وإنما يُركّب في الصورة البهيمة، وكذلك في صورة السباع والوحوش؛ حتى يردّ في صورة يُستوحش منها . وهذا دأبه وديده أبداً بالبدن»<sup>(٣)</sup>.

(1) نقل هذا المعتقد عنهم: أبو الحسن الأشعري في مقالات الإسلاميين ١/ ١١٩ .

(2) انظر الهفت الشريف للمفضل الجعفي ص ٤٩-٥٠ .

(3) الهفت الشريف للمفضل الجعفي ص ١٤٢ .

أَثَرُ الْمَلَلِ وَالْحَلِّ الْقَدِيمَةِ فِي بَعْضِ الْفِرَقِ الْمُتَنَسِّبَةِ إِلَى الْإِسْلَامِ - د. عَبْدُ الْقَادِرِ بْنُ مُحَمَّدٍ عَطَا صُوفِي

وليس انتقال أرواح مخالفي النصرانية في الصور الحيوانية فقط، بل «في كل شيء خالف الصورة الإنسانية»<sup>(١)</sup>.

فيمكن أن تنتقل أرواحهم إلى صور جامدة؛ من معدن، وحجر، وحديد، وغيره؛ فتذوق بذلك حرّ الحديد والحجر، وبرده<sup>(٢)</sup>.

وليس معتقد الدروز في التناسخ عن معتقد النصرانية فيه بعيد، وإن كان يُخالفه في شكل انتقال الروح؛ إذ الروح - عند الدروز - في انتقالها تلزم شكلاً واحداً فقط؛ هو الانتقال من جسد بشري إلى جسد بشري آخر؛ سواء أكان الجسد لمخالف لهم، أو موافق<sup>(٣)</sup>.

من أجل ذلك كرهوا لفظ (التناسخ)، واستبدلوه بلفظ (التقمُّص)، ورأوا أنَّ القول بوقوع التناسخ بين عامة المخلوقات لا يجوز، بل هو قاصرٌ على بني البشر فقط<sup>(٤)</sup>.

وهذا الذي ذكرته من معتقدات الإسماعيلية، والنصرانية، والدروز - على سبيل المثال لا الحصر -، هو عين معتقد أصحاب الديانات الهندية، وهو يؤكِّد وقوع التأثير من اللاحقين بالسابقين، ويؤكِّد قول الشهرستاني (٥٤٨هـ) عن الفرق الغالية: «إنما نشأت شيهاتهم من مذاهب الحلولية، ومذاهب التناسخية، ومذاهب اليهود والنصارى»<sup>(٥)</sup>.

(١) المصدر نفسه ص ٦٦ .

(٢) انظر تعليم الديانة النصرانية - مخطوط - ق ١٧/أ، نقلاً عن الحركات الباطنية للخطيب .

(٣) انظر طائفة الدروز لمحمد كامل حسين ص ١٢٤-١٢٥ .

(٤) انظر مذهب الدروز والتوحيد لعبد الله النجار ص ٦٢ .

(٥) الملل والنحل للشهرستاني ص ١٧٣ .

### الوقفه الرابعة: من خلال مقارنة موقفهم من الزهد:

عرّف الإمام ابن الجوزي (ت ٥٩٧هـ) الزهد بأنّه: «عبارة عن انصراف الرغبة عن الشيء إلى ما هو خير منه . وشرط المرغوب عنه: أن يكون مرغوباً فيه بوجه من الوجوه؛ فمن رغب عن شيء ليس مرغوباً فيه، ولا مطلوباً في نفسه لم يُسمَ زاهداً؛ كمن ترك التراب لا يُسمَى زاهداً... ليس الزهد ترك المال، وبذله على سبيل السخاء والقوة واستمالة القلوب، وإنما الزهد أن يترك الدنيا للعلم بمقارقتها بالنسبة إلى نفاسة الآخرة»<sup>(١)</sup>.

وليس المراد بترك الدنيا: تخلّيها من اليد، ولا إنفاق جميع المال، وسؤال الناس بعد ذلك، وإنما المراد إخراجها من القلب بالكليّة؛ بحيث لا يلتفت إليها، ولا يدعها تُساكن قلبه وإن كانت في يده .

فليس الزهد أن تترك الدنيا من يدك وهي في قلبك، وإنما الزهد أن تتركها من قلبك وهي في يدك؛ كحال الخلفاء الراشدين عليهم السلام، وغيرهم<sup>(٢)</sup>.

وقد انخرّف الصوفيّة في مفهوم الزهد انحرافاً خطيراً؛ فصرّحوا أنّ الزهد هو الابتعاد عن الدنيا بالكليّة، وعدم الاهتمام بها .

ولم يكتفوا بذلك، بل دعوا الناس إلى تعذيب أنفسهم بالجوع، والعري، وبكلّ الشدائد . ومدحوا الفقر، ودعوا إليه، وقدّموا سؤال الناس على العمل، والاشتغال بالرزق الحلال .

بل زادوا على ذلك انحرافاً آخر، حين زعموا أنّ درجة الولاية لله لا يُمكن

(١) نقل عنه هذا التعريف: المقدسي في مختصر منهاج القاصدين ص ٣٢٤ .

(٢) انظر طريق المهجرتين وباب السعادتين لابن قيم الجوزيّة ص ٢٥٢ .

أَثَرُ الْمَلَلِ وَالْحَلِّ الْقَدِيمَةِ فِي بَعْضِ الْفِرَقِ الْمُتَنَسِّبَةِ إِلَى الْإِسْلَامِ - د. عَبْدُ الْقَادِرِ بْنُ مُحَمَّدٍ عَطَا صُوفِي

أن تُنال، أو يصل العبد إليها، إلا إذا قام بهذه الطقوس المبتدعة، التي تدعو إلى تعطيل الإنسان عن وظائفه التي خلقه الله لها<sup>(١)</sup>.

ونقلوا عن أئمتهم العبارات التالية:

١- ما أخذنا التصوّف عن القليل والقال، لكن عن الجوع، وترك الدنيا، وقطع المألوفات والمستحسنات<sup>(٢)</sup>.

٢- لا يكن معك شيء تُعطي منه أحداً<sup>(٣)</sup>.

٣- الفقر أساس التصوّف، وبه قوامه<sup>(٤)</sup>.

٤- أكره للفقراء دخول الحمام. وأحبّ لجميع أصحابي: الجوع، والعري، والفقر، والذلّ، والمسكنة. وأفرح لهم إذا نزل بهم ذلك<sup>(٥)</sup>.

إلى آخر كلامهم الطويل الذي يدلّ على أنّ القوم يعتقدون أنّ الزهد الحقيقي هو ترك الاكتساب، وعلم الاختار، وتعذيب النفس بشتّى أنواع العذاب؛ من جوع، وعري، وغيرها، حتى تصل إلى ولاية الله حسب زعمهم.

---

(1) انظر مظاهر الانحرافات العقديّة عند الصوفيّة وأثرها السيئ على الأمة الإسلاميّة لإدريس محمود إدريس ٧٩١/٢.

(2) هذا القول منسوب إلى الجنيد. (نسه إليه القشيري في الرسالة القشيريّة ص ١٣٢).

(3) هذا القول منسوب إلى السري السقطي. (نسه إليه السهروردي في عوارف المعارف ص ٩٢).

(4) إيقاظ الهمم في شرح فصوص الحكم لابن عجيبة الحسني ص ٢١٣.

(5) هذا القول منسوب إلى أحمد الرفاعي. (نسه إليه عبد الوهاب الشعراني في الأنوار القدسيّة في بيان آداب العبوديّة ص ١٣٢).

وقد يتساءل المرء: من أين استقى الصوفيّة هذا الانحراف العقدي؟ فأجيب: لقد أخذوه عن الديانات الهندية القديمة؛ سيما البوذية، التي كانت تدعو إلى تعذيب الإنسان لنفسه، وإماتة شهواته ورغباته، وترك فضول حاجاته، والسعي في قطع العلائق الدنيوية، واختيار العزلة التامة، وترك التزوّج. فالبوذيون قيّدوا أنفسهم بأنواع معيّنة من الأطعمة، وحرّموا كلّ شيء غيرها، ولم يلبسوا إلا خشن الثياب، ولم يرضوا إلا مرّ العيش. وقد تركوا كلّ ملذّات الحياة وراءهم ظهرياً، وسعّوا في قطع العلاقات الدنيوية، واختاروا العزلة التامة<sup>(١)</sup>.

وغاية البوذي من هذا كلّ «رياضة الإرادة على الحرمان، وتعويدها السيطرة على الرغبة في الملذّ، لكيلا تشقى بطلبها، ويحرّ فيها الحرمان»<sup>(٢)</sup>. ويُقارب معتقد الهندوس في الزهد ما نهجه البوذية في هذا الباب: فمن التعاليم التي أوجبها (منو) على أتباعه: السيطرة على جميع شهواتهم، وعدم أكل اللحم، أو استخدام الطيب<sup>(٣)</sup>. وعلى الرجل منهم إذا بلغ خمسين عاماً أن يترك الحياة الدنيوية، ويتجه إلى الغابة بصحبة زوجته - إن رغبت في ذلك، على ألاّ يقربها - ، حيث يعيش على

(1) انظر: فصول في أديان الهند للأعظمي ص ١٣٥. وأديان الهند الكبرى لأحمد شلبي ص ١٤٥.

(2) مقارنات الأديان - الديانات القديمة - محمد أبو زهرة ص ٦٤. وانظر الإنسان في ظلّ الأديان لعمارة نجيب ص ٢٠٨-٢١١.

(3) انظر شريعة (منو)، الباب الثاني: ١٧٥-١٧٧، نقلاً عن فصول في أديان الهند للأعظمي ص ٧٦.

أَثَرُ الْمَلَلِ وَالْحَلِّ الْقَدِيمَةِ فِي بَعْضِ الْفِرَقِ الْمُتَنَسِّبَةِ إِلَى الْإِسْلَامِ - د. عَبْدُ الْقَادِرِ بْنُ مُحَمَّدٍ عَطَا صُوفِي

الثمار والزهور والخضروات التي تُنبَتها الأرض، ويتجنَّب أكل اللحم، ويحرم عليه أكل الغلات التي زُرعت في الحقول. وعليه أن يلبس جلود الغزال، ويُربِّي شعر رأسه، ولا يُقَلِّم أظفاره، وينام على الأرض، ويتخذ من أصول الشجر بيتاً. وعليه أن يتحمَّل شِدَّة الحرِّ؛ فيجلس تحت الشمس المحرقة، ويعيش أيام المطر تحت السماء، ويرتدي اللباس المبلَّل بالماء في الشتاء. وهكذا يقهر جسده ويُعَذِّبُه<sup>(١)</sup>.

وهكذا يتَّضح أنَّ أديان الهند الوضعية كانت ذات أثر خاصَّ في الصوفيَّة، في مفهوم الزهد، وتقديس الأشخاص، والغلوِّ في العبادات.

---

(١) انظر شريعة "منو"، الباب السادس: ٦، ٨، ١٣، ١٦، ١٩، ٢٢، نقلاً عن المرجع السابق

ص ٨٠-٨١.



## خاتمة

وبعد أن يسرَّ الله لي إتمام هذا البحث، لا مانع من ذكر بعض ما توصَّلتُ إليه من خلال المقارنات التي أجريتها بين الملل والنحل القديمة، وبعض الفرق المنتسبة إلى الإسلام:

- ١- إنَّ هذه الفرق المذكورة في ثنايا هذا البحث لم تأتِ بجديد في مجمل عقائدها، وإنَّما ورثت ما سبق أن ابتدعته الملل والنحل القديمة .
  - ٢- إنَّ هذه المقارنات - وإن كانت يسيرة-، إلا أنَّها أرشدت إلى أنَّ الفرق التي انحرفت عن الكتاب والسنة، كان من أهم أسباب انحرافها -إن أحسنَّا الظنَّ بأصحابها-: عكوفهم على كتب الديانات القديمة، دون أن يُحصِّنوا أنفسهم بالعقيدة الصحيحة، ممَّا كان ذا أثرٍ كبيرٍ واضحٍ في انحرافهم انحرافاً مشابهاً لانحراف أولئك .
  - ٣- إنَّ الديانة النصرانية المحرَّفة حمَلتْ أكثر معتقدات الديانات الهندية، والديانة المصرية القديمة، فكانت معتقداًها رجع صدى لمعتقدات الأقدمين .
  - ٤- إنَّ الله عَصَمَ أهل السنة والجماعة بسبب تمسُّكهم بالكتاب والسنة، فكانوا هم الفرقة الناجية .
- نسأل الله أن يُمسِّكنا بالكتاب والسنة، وأن يُميِّتنا على منهج سلف الأئمة، إنَّه سميع مجيب . وصلى الله على النبي الأمين، وعلى الآل والأصحاب أجمعين .

## مصادر البحث ومراجعته

( مرتبة على أسماء المؤلفين )

- ١- أبو زهرة، محمد، (١٩٩١م)، مقارنات الأديان - الديانات القديمة -، القاهرة: دار الفكر العربي .
- ٢- الأضني، سليمان أفندي، (١٤١٠هـ - ١٩٩٠م)، الباكورة السليمانية في كشف أسرار الديانة النصرانية، القاهرة: دار الصحوة .
- ٣- الأشعري، علي بن إسماعيل، (١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م)، مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية .
- ٤- الأعظمي، محمد ضياء الرحمن، (١٤١٧هـ - ١٩٩٧م)، فصول في أديان الهند (الهندوسية، والبوذية، والجينية، والسيخية) وعلاقة التصوف بها، المدينة المنورة: دار البخاري للنشر والتوزيع .
- ٥- إدريس، إدريس محمود، (١٤١٩هـ - ١٩٩٨م)، مظاهر الانحرافات العقديّة عند الصوفيّة وأثرها السيء على الأمة الإسلامية، الرياض: مكتبة الرشد .
- ٦- ابن بابويه القمي، محمد بن علي، (١٣٨٩هـ - ١٩٧٠م)، إكمال الدين وإتمام النعمة في إثبات الرجعة، النجف: المطبعة الحيدرية .
- ٧- البستاني، بطرس، (١٨٨٢م)، دائرة المعارف، طهران: مؤسسة مطبوعاتي إسماعيليان .
- ٨- البغدادي، عبدالقاهر بن طاهر، (١٩٧٧م)، الفرق بين الفرق، بيروت: دار المعرفة .
- ٩- البيروني، محمد بن أحمد، (١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م)، تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مردوذة، بيروت: عالم الكتب .

- ١٠- التّيسر، محمد طاهر، (١٩٩٢م)، العقائد الوثنيّة في الديانة النصرانيّة، الرياض: دار الشّوآف .
- ١١- ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، (١٤٠٣هـ — ١٩٨٣م)، مجموعة الرسائل والمسائل، بيروت: دار الكتب العلميّة .
- ١٢- الجعفي، المفضل بن عمر، (١٩٨٠م)، الهفت الشريف من فضائل مولانا جعفر الصادق، بيروت: دار الأندلس .
- ١٣- الحامدي، إبراهيم بن الحسين، (١٣٨٩هـ)، كنز الولد، بيروت: دار الأندلس .
- ١٤- ابن حزم، علي بن أحمد، (١٤٠٢هـ — ١٩٨٢م)، الفصل في الملل والأهواء والنحل، جدة: دار عكاظ .
- ١٥- الحسني، ابن عجيبة، (١٣٩٧هـ)، إيقاظ الهمم في شرح فصوص الحكم، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للنشر والتوزيع .
- ١٦- حسين، محمد كامل، (١٩٦٢م)، طائفة الدروز تاريخها وعقائدها، القاهرة: دار المعارف .
- ١٧- حسين، محمد كامل، (١٩٦٦)، طائفة الإسماعيليّة، القاهرة: دار المعارف .
- ١٨- الحلبي، سليمان، (١٤٠٤هـ — ١٩٨٤م)، طائفة النصيريّة: تاريخها وعقائدها، الكويت: الدار السلفيّة .
- ١٩- الخطيب، محمد أحمد، (١٤٠٤هـ — ١٩٨٤م)، الحركات الباطنيّة في العالم الإسلامي، عمّان: مكتبة الأقصى .
- ٢٠- الخطيب، محمد أحمد، (١٤٠٠هـ — ١٩٨٠م)، عقيدة الدروز، عمّان: مكتبة الأقصى .
- ٢١- ديورانت، ول، (د . ت)، قصّة الحضارة، (ترجمة محمد بدران)، جامعة

أَثَرُ الْمَلَلِ وَالنَّحْلِ الْقَدِيمَةِ فِي بَعْضِ الْفِرَقِ الْمُتَنَسِّبَةِ إِلَى الْإِسْلَامِ - د. عَبْدُ الْقَادِرِ بْنُ مُحَمَّدٍ عَطَا صُوفِي

الدول العربية: إدارة الثقافة .

٢٢- الزنجاني، إبراهيم، (١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م)، عقائد الإمامية الاثني

عشرية، بيروت: مؤسسة الوفاء .

٢٣- السامرائي، عبد الله سلّوم، (١٩٨٤م)، الشعوبية حركة مضادة للإسلام

والأمة العربية، بغداد: المؤسسة العراقية للدعاية والطباعة .

٢٤- السامرائي، عبد الله سلّوم، (١٩٨١م)، القاديانية والاستعمار الإنجليزي،

بغداد: وزارة الثقافة والإعلام .

٢٥- السهروردي، عبد القاهر، (١٤٠٣هـ)، عوارف المعارف، بيروت: دار

الفكر .

٢٦- الشعرائي، عبد الوهاب، (١٣٧٣هـ - ١٩٥٤م)، الأنوار القدسية في

بيان آداب العبودية، القاهرة: مكتبة ومطبعة مصطفى البابي .

٢٧- شلبي، أحمد (١٩٨٦م)، أديان الهند الكبرى، القاهرة: مكتبة النهضة

المصرية .

٢٨- شلبي، رؤوف، (١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م)، آلهة في الأسواق، القاهرة:

مكتبة الأزهر .

٢٩- الشهرستاني، محمد بن عبد الكريم، (١٩٧٧م)، الملل والنحل، بيروت:

دار الفكر .

٣٠- الشيباني، محمد إبراهيم، (١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م)، الشيخ أو العدو

الخفي، الخرج: دار المنار .

٣١- الشيباني، كامل مصطفى، (١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م)، ديوان الحلاج،

بغداد: دار آفاق عربية .

٣٢- الطوسي، أبو السراج، (١٤٠٧هـ)، اللمع، القاهرة: مطبعة السعادة .

- ٣٣- الطيبي، شمس الدين بن أحمد، (١٩٥٣م)، الدستور ودعوة المؤمنين إلى الحضور، بيروت: دار الكشاف .
- ٣٤- ظهير، إحسان إلهي، (١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م)، القاديانيّة دراسات وتحليل، لاهور: إدارة ترجمان السنّة .
- ٣٥- العاملي، الحر، (١٣٦٢هـ)، الإيقاظ من الهجعة بالبرهان على الرجعة، إيران: انتشارات نويد .
- ٣٦- العلوي، يحيى بن حمزة، (١٤٠٦هـ)، الإفحام لأفئدة الباطنيّة الطغام، الإسكندريّة: منشأة المعارف .
- ٣٧- الفيروزآبادي، محمد بن يعقوب، (١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م)، القاموس المحيط، بيروت: مؤسسة الرسالة .
- ٣٨- القاسم، محمود عبد الرؤوف، (١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م)، الكشف عن حقيقة الصوفيّة لأول مرة في التاريخ، بيروت: دار الصحافة للطباعة والنشر .
- ٣٩- القشيري، عبد الكريم، (١٩٥٧م)، الرسالة القشيريّة، القاهرة: مطبعة حسن .
- ٤٠- ابن قيم الجوزيّة، محمد بن أبي بكر، (١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م)، طريق المجرتين وباب السعادتين، بيروت: دار الكتب العلميّة .
- ٤١- الكاشاني، محسن، (١٣٩٩هـ)، علم اليقين في أصول الدين، خال من مكان النشر .
- ٤٢- كرد علي، محمد، (١٩٦٩م)، خطط الشام، بيروت: دار العلم للملايين .
- ٤٣- لويس، برنارد، (١٩٤٠م)، أصول الإسماعيليّة، (ترجمة خليل أحمد حلّو وآخر)، بغداد: مكتبة المشّي .
- ٤٤- ماضي، محمود، (١٩٩٠م)، عصمة الأنبياء بين اليهوديّة والمسيحيّة

أَثَرُ الْمَلَلِ وَالْحُلِّ الْقَدِيمَةِ فِي بَعْضِ الْفِرَقِ الْمُتَنَسِّبَةِ إِلَى الْإِسْلَامِ - د. عَبْدُ الْقَادِرِ بْنُ مُحَمَّدٍ عَطَا صُوفِي

والإسلام، الإسكندرية: مكتبة الإيمان .

٤٥- محمود، عبد القادر، (د. ت)، الفلسفة الصوفية في الإسلام، القاهرة: دار الفكر العربي .

٤٦- مغنية، محمد جواد، (١٩٨٧م)، مع الشيعة الإمامية، بيروت: دار الشروق .

٤٧- المقدسي، أحمد بن عبد الرحمن بن قدامة، (١٣٩٨هـ — ١٩٧٨م)، مختصر منهاج القاصدين، دمشق: مكتبة دار البيان .

٤٨- النجّار، عبد الله، (١٩٦٥م)، مذهب الدروز والتوحيد، القاهرة: دار المعارف .

٤٩- نجيب، عمارة، (١٤٠٠هـ — ١٩٧٩م)، الإنسان في ظلّ الأديان - المعتقدات والأديان القديمة-، الرياض: مكتبة المعارف .

٥٠- النوبختي، الحسن بن موسى، (١٩٣٦م)، فرق الشيعة، النجف: المطبعة الحيدرية .

٥١- نومسوك، عبد الله، (١٤٠٧هـ)، البوذية تاريخها وعقائدها وعلاقتها بالصوفية، رسالة ماجستير، قسم الدراسات العليا، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة .

٥٢- نيكلسون، ر . أ، (١٣٧١هـ)، الصوفية في الإسلام، (ترجمة نور الدين شريعة)، القاهرة: مكتبة الخانجي .

## فهرس الموضوعات

أثر الملل والنحل القديمة..... خطأ! الإشارة المرجعية غير معرّفة.	
في بعض الفرق المنتسبة إلى الإسلام..... خطأ! الإشارة المرجعية غير معرّفة.	
الوقفة الأولى: من خلال مقارنة معتقداهم في الله تعالى: ٤٨.....	
١- القول بالحلل: ٤٨.....	
٢- القول بالتثليث: ٥٥.....	
الوقفة الثانية: من خلال مقارنة معتقداهم في الأنبياء: ٦١.....	
الوقفة الثالثة: من خلال مقارنة معتقداهم في اليوم الآخر: ٦٦.....	
الوقفة الرابعة: من خلال مقارنة موقفهم من الزهد: ٧٥.....	
خاتمة..... ٧٩.....	
مصادر البحث ومراجعته ٨٠.....	
فهرس الموضوعات ٨٥.....	

أثرُ المِلَلِ والتَّحَلُّ القَدِيمَةِ فِي بَعْضِ الْفِرَقِ الْمُتَنَسِّبَةِ إِلَى الْإِسْلَامِ - د. عَبْدُ الْقَادِرِ بْنُ مُحَمَّدٍ عَطَا صُوفِي